إبستيمولوجية علم السياسة

تمهيد:

يتميز النسق المعرفي في العلوم السياسية بالحركية والتعقيد، كما أنه لا يقدم تفسيرا للظواهر السياسية يمكن من خلاله صياغة قوانين ثابتة قابلة للاختيار والتنبؤ وإمكانية الوصول إلى نظريات كبرى في شكل نماذج أو نموذج معرفي واحد يهيمن على الحقل المعرفي، وإنما هناك تراكم للمعلومات والمعارف والنظريات، أو كما سماه "توماس كون" تجمعا عشوائيا للحقائق يوفر ثروة هائلة من المعلومات تجعل من علم السياسة يشبه علم الميكانيك قبل "نيوتن" وعلم الحرارة قبل "بلاك" والكيمياء قبل "بويل". ففي علم السياسة هناك منظورات مختلفة لا يتمتع أي منها بقبول واسع، وليس لأي منها عناصر ومكونات نظرية قوية ولذلك يدور النقاش حول القضايا المنهجية والنظرية، لاستحالة تحديد أي الأدوات والقواعد التحليلية الأكثر قوة في التطبيق. لذا سيستعين الباحث في هذا الفصل ببعض النظريات المقدمة للتحليل على المستوى الإقليمي والمتمثلة في نظرية النظم الإقليمة، وكذا مقاربات التكامل والتعاون الإقليمي، بالإضافة إلى الإستعانة بنظرية الدور ومحاولة توظيفها على مستوى التحليل الإقليمي وبعض المفاهيم والمحددات المتعلقة بعملية بناء الدولة في اتجاه يخدم خط أو توجه البحث لا سرد هذه النظريات.

المحور الأول: فلسفة العلوم والمفاهيم المرتبطة بها

1- تعريف الإبيستمولوجيا:

مصطلح الإبيستمولوجيا Epistemology يعود أصله لكلمة يونانية الأصل، وهي مكونة من مقطعين Episteme وهي تعني معرفة، و Logos وتعني نظرية أو دراسة أو فلسفة وبتركيب هذين المقطعين تصبح معنى الكلمة نظرية المعرفة، أو دراسة المعرفة، وبما أن هذا المبحث فلسفي في المقام الأول فيمكن القول بأن المصطلح يعنى دراسة فلسفة المعرفة وبناء عليه تثار العديد من الأسئلة في هذه الدراسة الفلسفية. ولكن قبل الدخول في ذكر ما تثيره هذا النوع من الدراسة من أسئلة لابد من توضيح وذكر معنى كلمتي معرفة ونظرية. المعرفة هو مصطلح يدل على إدراك ما لصور الأشياء أو صفاتها أو سماتها وعلاماتها أو للمعاني المجردة سواء أكان لها في غير الذهن وجود أو لا، وهو أحد التعريفات الاصطلاحية التي تعبر عن ما يمكن طرحه من الأسئلة حول إمكانية المعرفة، ومصادرها، وقيمتها .

2- الإبستمولوجيا والنظرية السياسية:

تعد الأبستمولوجيا أحد افراع ثلاث انقسمت إليها الفلسفة في طورها الحديث هي الأبستمولوجيا، وتعني علم أو نقد المعرفة، والأنطولوجيا وهو علم الوجود والماهية والاكسيولوجيا وهو البحث في القيم والمجال الأخلاق، وكثيرا ما يقع الخلط بين الأبستمولوجيا وبين الميثولوجيا أو علم المنهج الذي يهتم بدراسة العمليات والإجراءات التي يمكن من خلالها الوصول إلى المعرفة، بينما تهتم الإبستمولوجيا أساس بمبادئ المعرفة العلمية وافتراضاتها ونتائجها، كما تختلف الإبستمولوجيا عن تاريخ العلم الذي يهتم بتطور العلوم وتكونها أو ما يعرف بجينيالوجيا المعرفة عند المفكر ميشيل فوكو، أي الكيفية التي تتطور بها الأفكار من مراحلها الأولية إلى أن تصبح أنساق معرفية.

وهذا وقد أرجع "كارل منهايم" دواعي إثارة الاهتمام بالأبستمولوجيا إلى أنه منذ أن تم تحطيم الرؤية الدينية الأحادية للعالم وجب علينا أن تعطي أهمية للمعرفة وكيفية وصولها إلينا أو إلى الوجود، ويعتبر "برنارد راسل" أول من أصل مفهوم الأبستمولوجيا وإعتبرها نوع من الشك المنهجي، وتعددت بعدها التعريفات وتم تجاوز تقاليد ليد "راسل" و"تجنشتاين" فتم النظر إلى الأبستمولوجيا على أنه ذلك الفرع من الفلسفة الذي يركز على طبيعة المعرفة العلمية ومجالها وافتراضاتها وتحيزاتها ومصداقيتها العامة.

كما أنه أصبح ينظر إلى هذا الحقل من منظور يتجاوز الرؤية التقليدية حيث اعتبر ان الأبستمولوجيا لا تستطيع أن تقيم حقيقة جديدة من الواقع وإنما تقوم بوظيفتين أولهما سلبية تركز على الدفاع ضد مداخل الشك وتسعى إلى الوصول إلى المعرفة الحقيقية التي لا تقبل الشك، أما الثانية إيجابية وهي شرح وتفسير كيف تمت معرفة ما نعرفه وبالتالي تقوم الأبستمولوجيا على أسس متعلقة بالعلم ونظرياته وكيفية فهم وتحليل وتفسير الأطر العلمية للمعرفة من خلال:

- كيفية الشك الاخص الشك والتوصل إلى نوع من اليقين وتفسيره.
- البحث فيما قبل النموذج المعرفي أي البحث في الفرضيات التي يتم بناء عليها ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي.
- البحث في إشكالية العلاقة بين الإدراك أو المعرفة او التجربة الإنسانية من جهة وبين العالم او موضوعات الواقع من ناحية اخرى.
- البحث في قضية الإثبات أو الدليل ومعرفة الكيفية التي يتم من خلالها تحديد العوامل المستقلة والعوامل التابعة وعلى أي أساس يتم تحديدها وكيف يمكن الفصل بين الوصف والوصفة،

وكيف يمكن فصل الظاهرة موضوع الدراسة من الظواهر المحيطة بها، وما هي العلاقة بيم الموضوع الذي يتم وصفه وادوات الوصف أي المنهج او النظرية ووسائلهما.

المحور الثاني: الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة:

كما سبقت الإشارة فإن الفلسفة قد انقسمت إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- **الأنطولوجيا**: الأنطولوجيا ontology أو علم الوجود، وهو أحد مباحث الفلسفة، وهو العلم الذي يدرس الوجود بذاته، الوجود بما هو موجود، مستقلا عن أشكاله الخاصة، كما تعني الأنطولوجيا الكينونة أو علم الوجود، هو أحد الأفرع الأكثر أصالة وأهمية في الميتافيزيقيا يدرس هذا العلم ويغوص في كشف طبيعة الوجود اللامادي وفى القضايا الميتافيزيقية المترتبة على التصورات أو المفاهيم والقوانين العلمية، مثل المادة والطاقة والزمان والمكان والكم والكيف والعلة والقانون والوجود الذهني وغيرها إضافة إلى أصناف الوجود الأساسية في محاولة لتحديد وإيجاد أي كيان وأي أنماط لهذه الكينونات الموجودة في الحياة. لهذا فإن الأنطولوجيا ذات علاقة وثيقة بمصطلحات دراسة الواقع.

ب- **نظرية المعرفة knowledge:** ترتبط نظرية المعرفة إرتباطا وثيقا بالإبستيمولوجيا، وتهتم بالبحث في طرق وإمكانية قيام معرفة ما عن الوجود بمختلف مظاهره، وماهي المصادر التي نعتمد عليها للحصول على المعرفة، وهل هي كاملة أم نسبية، وقد إنقسم العلماء والفلاسفة إلى مذاهب فكرية لعل لعل أبرزها الإتجاه العقلي والإتجاه الحسي فلأول ينظر إلى المعرفة بإعتبارها مادة خام لا يمكن كشفها وفهم مكوناتها وتفاعلاتها إلا من خلال العمليات التي يقوم بها العقل عبر التفكير والإستقراء والإستنباط أو ما يسمى بالأدوات الذهنية، أما الثاني، فيرى أن المعرفة الحقيقية لا يمكن تحصيلها إلا من خلال الملاحظة والتجربة المعتمدة على العزل والعشوئة، وقد برز هذا الإتجاه بشكل جلي مع بداية القرن السادس عشر مع الوضعية المادية في العلوم ليتوسع نطاقها فيما بعد إلى حقول معرفية أخرى على غرار العلوم الإجتماعية.

3- **الفلسفة القيم الإكسيويوجية Axilogie:** هذا الفرع الفلسفي يهتم بالبحث في القيم أي قيم الحق والخير والجمال وهي الموضوعات التي يتناولها علم المنطق، وعلم الأخلاق، وعلم الجمال، والتي توصف بأنها علوم معيارية لكونها تهتم بما ينبغي أن يكون، عكس العلوم الوضعية التي تهتم بتفسير ما هو موجود. إضافة إلى هذا نجد أن العلماء قد ميزو بين القيمة الحقيقية والقيمة الإعتبارية، فلأولى هي قيمة متعلقة بالمنفعة مثل قيمة الأرض والطعام، أما القيمة الثانية فأساسها الثقة، والإئتمان، كما ميزو بين القيمة الذاتية للشيئ والقيمة المضافة إليه، والتمييز بينهما يكمن في أن القيمة المضافة إنما تنشأ عن العمل المبذول في إنتاج شيئ ما.

المحور الثالث: تطور الفكر الإبستيمولوجي في العلوم الإجتماعية:

يجري اليوم في دائرة علم المعرفيات ، لا في حقل نظرية المعرفة ، الحديث عن أنواع من الأبستمولوجيات:

1- الإبستيمولوجيا الفلسفية:

وتشمل صورا من المعارف التي ضمها تاريخ الفلسفة اليونانية والفلسفتين الإسلامية والمسيحية. وهي معارف عكست مرحلة التطور العلمي في ذلك الوقت، كما ضمت في داخل أبنيتها الكثير من المفاهيم والتصورات العلمية وإستثمرت مستوى يقينية النماذج المنطقية والرياضية. إلا أن المعالجة الفلسفية لها كانت من زاوية النفس وقواها أو ملكاتها . وشملت معرفيات غنوصية وصوفية. ومن ثم نشوء مذاهب ومدارس معرفية لها وهي تضم التفسيمات الكلاسيكية التي كانت متداولة في دوائر المعرفيات وهي :

أ- الإبستيمولوجيات الحسية: أو المعرفيات التجريبية وهي نوع من المعرفيات تعتمد الحس أو التجربة طريقاً وحيدا لإكتساب المعرفة. وهنا الإستناد جاء على طريق المعرفة وليس على نظرية المعرفة. وقد جاء التأسيس لهذا النوع من الأبستمولوجيات في كتاب فرنسيس بيكون (1561 – 1626) الذي عنوانه الأورغانون الجديد أي المنطق الجديد. والذي طبع في اللاتينية أولاً في العام 1620، ومن ثم ترجم وطبع بالإنكليزية في العام 1863. وإن الأسم فيه إشارة إلى أورغانون أرسطو. فالأرغانون الجديد عند بيكون هو نظام جديد في المنطق يعتمد الإستقراء بدلاً من الإستدلال. ولهذا كان بيكون يعتقد أن أورغانونه له السلطة العليا على الأورغانون القديم.

وهكذا اختارت الأبستمولوجيات الحسية الإستقراء، الطريق المنطقي الذي يتجاوب مع هذه التوجهات الحسية التجريبية. كما وإرتبطت هذه المعرفيات بمجموعة من الفلاسفة الإنكليز من أمثال توماس هوبز الذي قادته نزعته الأبستمولوجية الحسية التجريبية إلى المادية والذي يعد رمزا من رموز مؤسسيها مع جون لوك (1632 – 1704) الذي يعتبر من مؤسسي الأبستمولوجيا الحديثة.

ب –الإبستمولوجيات العقلية : إنه إتجاه معرفي حديث يعتمد العقل الطريق الوحيد لإكتساب المعرفة. إن هذا الإتجاه إرتبط بنخبة من الفلاسفة العقليين الذين إنتجوا لنا نصوصا أبستمولوجية في غاية الأهمية في تاريخ الأبستمولوجيا عامة والنزعة العقلية على وجه الخصوص، كان في طليعتهم الفيلسوف الفرنسي ديكارت (1596- 1650) والذي ركز مشروعه الأبستمولوجي في كتابه المعنون تأملات في الفلسفة

الأولى والذي صدر لأول مرة باللغة الاتينية في العام 1641، ومن ثم ظهرت له ترجمة فرنسية في العام 1647، وبعد أكثر من قرن ونصف جاءت الترجمة الإنكليزية في عام1901.

ج- **الأبستمولوجيات النقدية** : إنها إتجاه أبستمولوجي حديث مارس عملية النقد للإتجاهين المعرفيين السابقين (أي نقد للأبستمولوجيا الحسية والعقلية على حد سواء). ومثل هذه النزعة الأبستمولوجية في تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة، الفيلسوف الألماني إمانوئيل كانط (1724- 1804) هو فيلسوف ألماني، الذي كان له تأثيرا واسعا في في بيئته الفكرية.

لذا إعتقد التجريبيون أن أكتساب المعرفة يكون عن طريق وحيد هو التجربة فقط. في حين رأى العقليون أن مثل هذه المعرفة مفتوحة للشك الديكارتي، وإن العقل هو الطريق الوحيد الذي يوفر لنا مثل هذه المعرفة. جادل كانط التجريبين والعقليين، ورأى إن إستعمال العقل وحده دون الإستعانة بالتجربة سيقودنا إلى الوهم. في حين أن الأعتماد على التجربة وحدها ستكون تجربة شخصية، فإختار كانط طريقا إبستمولوجيا ثالثا يمزج بين الإتجاهين.

ثالثا- الإبستيمولوجيات المعاصرة: تميز تاريخ الإبستمولوجيات في الحقبة المعاصرة بإستمرار المدارس الفلسفية الناشطة في صياغة إبستمولوجيات تعكس توجهاتها الفلسفية. وفي الوقت ذاته شهدت هذه الحقبة إنبثاق ما يعرف اليوم بدوائر الأبستمولوجيات الناهضة على ما توافر في دوائر العلوم المعاصرة، من أساليب تجريبية تمثلت بأنواع معقدة من أجهزة في غاية التعقيد والتطور سواء في رصد الظواهر الكبيرة في الكون، أم الظواهر الصغيرة التي لا نراها بالعين المجردة، وإنما بمساعدة أجهزة في غاية الحساسية والدقة، وبمصادر التنوير، وفي المقابل تطورت أساليب نظرية عالية تمثلت بأنواع من الرياضيات العالية، التي تجاوزت حساب التفاضل والتكامل، والتي إنتظمت على صورة مصفوفات رياضية عالية التجريد، والتي صاحبها تطوير أنواع من المنطق الثلاثي القيم والمتعدد القيم وتطوير الإستنباط والإستقراء التقليديين إلى إستدلال تجريبي ونظري إن ما يميز الأبستمولوجيات المعاصرة، إنها مشروع تعاون بين العلماء والفلاسفة، وحصيلة تضافر جهودهما المشتركة والتي إنعكست في شكل المعرفيات العلمية أو الأبستمولوجيات المعاصرة.

1- إبستيمولوجيا الوضعية المنطقية: تميزت الأبستمولوجيا المعاصرة في إطارها الفلسفي بطعم خاص عكس تنوع مدارسها الفلسفية المعاصرة. فمثلا كانت هناك مساهمة أبستمولوجية عالية للوضعية المنطقية، والتي كانت تعرف بالتجريبية المنطقية كذلك، وقد جاءت نتيجة لجهود أعضاء حلقة فينا (21) والتي ضمت مجموعة من علماء الرياضيات، والعلماء والفلاسفة ، الذين جمعهم هدف واحد، وهو

مناقشة التطورات الحديثة في علم المنطق، ومن ضمنها مناقشة كتاب فيتجنشتاين (1889- 1951) المعنون رسالة منطقية – فلسفية والذي صدر في العام 1922، وكان يقودهم مورتيز شيلك.

2- **الإبستيمولوجيا البراجماتيية:** إنبثقت البراجماتية، موجة فلسفية تحمل إعلانا أبستمولوجيا تجريبيا (حسيا) في نهايات القرن التاسع عشر، وبالتحديد في النادي الميتافيزيقي فيما بين عامي 1872 و 1874، وهو النادي الذي كان كل من "تشارلز ساندروز بيرس (1839- 1914) ووليم جيمس (1842- 1910) يمثلان من بين أعضائه الأتجاه الأبستمولوجي التجريبي في الفلسفة في مقابل الأتجاه الإبستمولوجي الميتافيزيقي المثالي الذي كان يمثله أغلب أعضاء النادي.وقد قدم بيرس في النادي بحثا إبستمولوجيا متفردا، نشر فيما بعد في مقالين الأول بعنوان تثبيت الإعتقاد الذي ظهر في العام 1877 والثاني بعنوان كيف نوضح أفكارنا الذي صدر في العام 1878.

المحور الرابع: الأبستمولوجيا والتحولات المعرفية

إن دراسة التحولات المعرفية يحتاج إلى تصورات تساعد على استعجاب جوانبها المتعددة وفي هذا السياق يمكن الحديث عن النظريات المفسرة للتقدم العلمي في نطاقها الإبستمولوجي مع التركيز على مفاهيم الثورات المعرفية البرامج البحثية لدى لاكتوش والفوضى المنهجية لدى فايرابنت ويمكن وضع هذه النظريات تضمن تصنيفين أساسيين أحدهما يسوقه الباحث جون لوزي John Losee وتترتكز تيتيولوجية لوزي على ثلاث فئات تندرج ضمنها النظريات المفسرة للتقدم العلمي:

– النظريات التي ترى أن التقدم العلمي يسير وفق منطق احتواء النظريات الجديدة للنظريات القديمة وبذلك تصل إلى مبدأ التراكمية.

– النظريات التي ترى ان التقدم العلمي يحكمه منطق الثورة بحيث تأخذ النظريات الجديدة بعضا من مكونات النظرية القديمة لكنها تنتقص ضد مسلماتها الاساسية وترسى جديدة للعلم.

– النظريات التي تعتقد بانتماء العلم لمنطق النماء العضوي اللاخطي أي المتأرجح بين طرق عدة للتقدم.

والثانية لجيمس باتريك Jomes Patrick تييولوجيا لا تختلف كثيرا عن ثييولوجية جون لوزي وهي ترى ان النظريات المفسرة للتقدم العلمي إما أنها تخضع للمنطق البراغماتي أو الثوري أو التطويري.

1) **نظرية ويوبيل Whewell :** تعتبر نظرية ويوبيل أو باحث رصد مسار تطور العلم حيث نشر أعماله في هذا الخصوص بين عامي 1837-1857 لكن تأثره بالنزعة الوضعية التي كانت أوجها خلال

القرن 19 جعلته يؤمن بأن العلم يرتقى بنيات نحو تحقيق المزيد من النجاحات ففي كتابة تاريخ العلم الاستقرائي يصر على الطابع الخطي لتقدم العلم وقد تعرضت وجهة نظره لانتقادات من طرف معاصرة بروستر Brewster ، إذ يشير هذا الأخير إلى نقطة مهمة وهي تجاهل النموذج في تفسيراته ويويل للتقدم العلمي ومن ذلك تمسكه بالاستقراء وبالنزعة الإمبريقية ولجوءه إلى الملكات الحدسية في تفسير الاكتشافات العلمية رغم ذلك فقد قدم ويويل بحثا حول القانون الذي يحكم هذه التحولات كما جاءت نظرية أرنست نيجل Ernest Nagel في كتابة "بنية العلم" لتؤكد على أن التقدم العلمي ليس سوى احتواء للمنظومة المعرفية القديمة في المنظومة الناشئة الاكثر دقة وهو الطرح الذي اكده لاحقا كارل بوبر الذي اعتبر ان التقدم بمثابة الحاجة المنظومة القديمة ودمجها في الجديدة وبناء صرح علمي قوامه قابلية النظريات للتكذيب وقدرة الباحثين في كشف الحقائق ويسند طرح بوبر إلى نظرية العوالم الثلاثة والتي تتفاعل بين بعضها البعض:

العالم الأول: ويحوى الاشياء المادية والكائنات البيولوجية كما يتضمن أيضا الأحداث الاجتماعية المختلفة فهذا العالم يشمل أساسا المواضيع المعرفية أو الظواهر محل الدراسة.

العالم الثاني: ويشمل عل العمليات الإدراكية التي يقوم بها العقل وكل ماله صلة بالذات العارفة.

العالم الثالث: ويشمل على كل ما انتجته الذات العارفة من معارف لدى سعيه لفهم العالم الأول وبذلك فإن هذا العالم حسب بوبر يتضمن كل النظريات العلمية والروايات والأساطير والاعمال الفنية والمؤسسات الاجتماعية وغيرها مما انتجه العالم الثاني لدى تفاعله مع الأول. وهكذا فإن الموضوعية العلمية لدى بوبر ليست متيسرة إلا إذا سلمنا بوجود عالم ثالث في معادلة عوالم المعرفة، فيقوم بإخضاع العالم الثالثين للفحص والنقد وربما للتكذيب وهو العامل الأكثر فاعلية في تقدم المعرفة.

لكن هذا الطرح ووجه لاحقا بحجج مختلفة أهمها اللامقياسية في عديد من الحالات بين البنية النظرية القديمة والناشئة بسبب استخدام تصورات بمضامين مختلفة وأدوات قياس متباينة إذا فإن أكثر النظريات الاحتوائية في تفسير التقد العلمي هي تلك المتعلقة ببرامج البحث عند إمري لاكتوش والتي عمد فيها إلى تفسير التقدم في إطار برنامج بحث واحد عبر توسع مجال النظرية لتضمين متغيرات جديدة بحيث تصبح النظرية القديمة بمثابة نواة أصلية للنظرية الجديدة بما يكفل تحسين القوة التفسيرية للنظرية والبرنامج البحث ككل.

وصلت التفسيرات الإحتوائية سائدة في ميدان تاريخ العلم إلى أن جاء جونثان كوهين Janathen Cohen وبمفهوم الثورة المعرفية لكن ما يعاب على الطريقة التي طرح بها الثورة هو العمومية التي اتسم بها المفهوم لديه حيث أصبح يلصق بأي فكرة جديدة حتى لم تتمكن هذه الفكرة من تقويض أركان النظرية القديمة أو السائدة، نفس المشكلة وقع فيها ستيفن تولمين Stephen Toulmin عندما تحدث من استبدال نظرية جديدة محل نظرية أخرى إذ اخفقت في مطابقة تصوراتها مع المسار الطبيعي لأحداث في العالم عندما تأخذ الأحداث مسار لا تتلقفه النظرية السائدة لذا وجب تعويضها.

وبمجيئ توماس كون أصبح مفهوم الثورة مضمونا مقيدا ومنهجيا بحيث تستطيع الوثبات المعرفية من النفوذ وتقديم بدائل قياسية مختلفة تساعد على استنباط الفرضيات واختبارها وفق منطق جديد، فقط هذا النوع من المعرفة يستحق وصف الثورة، ويؤكد كون أنه لدى الانتقال من نموذج قياسي إرشادي لآخر فإنه لا يمكن المقارنة بين الجديد والقديم لانهما يستندان إلى جوهر مختلف، ويوظفان أدوات مختلفة فضلا على أنهما يرسمان أهداف متباينة وقد حدد كون مراحل التورة في مرحلة العلم العادي، مرحلة الأزمة بكثرة مواطن الشذوذ في النموذج السائد ثم بعدها مرحلة الثورة لإرساء علم عادي قياسي جديد.

وعلى الرغم من اهمية هذا الطرح الذي ساقه كون إلا أنه تعرض لانتقادات عدة أهمها ان الثورة ذاتها مفهوم نسبي والتحول قد لا يحدث بشكل جذري بل قد تقود مظاهر فكل من أداء النظرية السائدة حسب لاري لودان Larry Laudan إلى قيام بتنقيحات تصويرية عبر تفاعلها مع مكونين آخرين هما الاهداف الإدراكية (للباحث) والمبادئ المنهجية السائدة وقد ذهب نيكولاس ريشر Nicholas Recher أنه في الاتجاه ذاته عبر أطروحته حول العلم باعتباره عملية ادراكية ذاتية التنقيح تؤكد على مواطن القوة المنهجية وتضيف عليها بينما تستبعد الأخطاء ومواطن الضعف.

لقد ساهم هذا المنطق التفسيري للتقدم العلمي دون الإقرار بذلك صراحة وهو المنطق الذي تعبر عنه جملة "لاودان" التقدم العلمي باعتباره تقربا مستمر من الحقيقة، فالتقدم ينصب على تحسين الفعالية في التعاطي مع المشكلات ولتفادي الانتقال الكلي من نموذج معرفي لآخر عقب تحسن فعالية حل المشكلات وربط ذلك بتحول علمي تراكمي في هذه المرحلة فقد اقترح كيتشر Kitcher ثلاث مستويات متمايزة للتحول المعرفي: المستوى العلمي (تحسين حل المشكلات المرتبطة بالعالم المادي) المستوى التصويري (تحسين قدراتنا على تطوير تصورات متماسكة وذات قدرة تبسيطية) وأخيرا مستوى التفسير

(زيادة الفعالية التفسيرية للنظريات المستخدمة) ويمكن التعرض لمجموعة من التوجهات الرئيسية في مجال تفسير التقدم العلمي.

المحور الخامس: الفوضى الإبستيمولوجية لدى فاييرأبند

1- الإبستيمولوجية الفوضوية:

لعل فيرابند هو أول من وظف مصطلح الفوضوية في المجال العلمي بعدما كان متداوال في المجال السياسي فقط، حيث استعمله في فلسفة العلم المعاصر ليناهض به العقلانية العلمية الكالسيكية التي كانت تقوم على القواعد والمناهج الثابتة، فالعلم حسب إعتقاد فيرابند "مشروع فوضوي، فهو بذلك يرفض كل قانون علمي دغمائي خادع، فيمكن أن نجد قانونا فوضويا أكثر مصداقية من قانون يبدو نظاميا، فهو يثور ضد الإبستيمولوجية المفتوحة، بمعنى أن الإبستيمولوجية الفوضوية جاءت لمناهضة الابستيمولوجية النظامية.أي "ضد المنهج ."يؤكد" فيرابند بأن كل ما يستفزنا يدعو إلى المعرفة، حتى ألاشياء اللامعقولة فيها معارف فكل المناهج في نظره مقبولة تبعا لشعاره.

2- المنهج العلمي والعقلانية :

إن الفوضوية الابستيمولوجية التي ينادي بها فيرابند هي إتجاه مناهض لكل ميتودولوجية معيارية تدعي الثبات في القواعد والصرامة في المنهج والموضوعية في الحكم والعقلانية في التفكير، كما كان سائدا عند علماء العقلانية الكالسيكية، أمثال الوضعية المنطقية والتكذيبية الذين كانوا قد حصروا العلم في قوالب منهجية جامدة. فالفوضوية لا تعني العشوائية أو الرفض التام للعلوم، بل هي عدم التقيد بقوانين العقل ومعايير العقلانية، والتفتح على جميع النظريات التي تبدو غير عقلانية كالأساطير والخرافات والسحر والخيال.

لقد شكك فاييرأبند في قيمة النسق العلمي في حد ذاته بما يتضمنه ذلك من التشكيك في قيمة النظريات العلمية، ومع ذلك فإن فقد طور إسهاما إبستومولوجيا يعالج كيفية التعامل مع النظريات العلمية وفقا مجموعة من المحددات الإرشادية أهمها:

- **القيمة التفسيرية للنظريات تتغير من مرحلة إلى أخرى:** بالنسبة فرايبند فإن إنحدار القيمة التفسيرية للنظريات لا يعني إنخفاض مكانتها العلمية بالضرورة، فقد تعاود هذه النظرية تطوير مكانتها في مرحلة أخرى، لتكون أقرب إلى تصوراتها وبذلك فانه لا يستساغ إخراج نظرية معينة من النسق العلمي لمجرد انتقاص قدرتها التفسيرية لان هذا السياق غير ثابت في طبيعته، وهو بذلك يعارض الإسهام الابستمولوجي الذي قدمه كارل بوبر حول نموذج التصديق والتكذيب.

- **التعدد النظري:** يرى فرايبند أن التعدد النظري مفيد جدا لأي حقل معرفي ولذا يجب دائما الرهان النظري والمنهجي على التعددية النظرية ومهما كانت قيمة نظرية علمية معينة فإنه لا يجب أن تتطور لكي تشكل نموذجا معرفيا سائدا، وهو بذلك يعارض الإسهام الذي قدمه توماس كون حول مفهوم النموذج المعرفي.

- **بناء النظريات يعكس مجموعة من المعتقدات**: حيث يؤمن فرايبند أن ما هو مدرك ناتج مما هو معتقد ولان النظريات في النهاية عبارة عن ادراكات مختلفة لما هو موجود في الواقع، فانه تعكس اختلاف المعتقدات المسبقة التي ينطلق منها المنظرون، وفي ذلك يعارض فرايبند مفهوم البرنامج البحثي الذي قدمه لاكاتوش وتحديدا ما يتعلق بصرامته كوحدة علمية فما يظهر انه صارم علميا لا يعكس في النهاية إلى اعتقادا معينا، وبذلك تفقد المقارنة بين النظريات اهميتها لانه لا يوجد اعتقاد افضل من الأخر.

لقد ثار"فيرابند"على العلم الذي يقوم على المنهج بحكمه نسق مغلق يقيد عقل الإنسان من خلال خطواته الصماء وسيدفعه إلى توديعه تاريخيا، حيث أن المنهج في نظره بلا عقل ألامر الذي أدى بفيرابند لإعطاء البديل المتمثل في الفوضوية الإبستمية، التي ترتكز على النسباوية والمعياريةالفردية، لقد ساهمت فلسفة بوبر في تشكيل رؤية فيرابند في شقها العلمي.كما ساهمت أفكار"هوليشر Hollischer المادية الماركسية الثورية في شقها السياسي، الامر الذي أدى إلى تمرد أبند على تقاليد فلسفة العلوم المعاصرة. حيث يؤكد أن الفوضوية لها. جاذبية في الفلسفة السياسية والدواء الفعال في فلسفة العلوم، أعاب أيضا على الوضعية المنطقية بعدما كان متأثرا بها لحرصها الشديد على تبريرها للنظريات العلمية، حتى أستاذه بوبر سرعان ما انقلب عليه و لم يسلم من نقده خاصة في ما يتعلق بمبدأ التكذيب.